

الصراع بين الحضارة الإسلامية
والحضارة الأوروبية

■ ■ ■ الأقبليات.. المشكلة والحل

obeyikan.com

الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية

منذ أن ظهر نجم الحضارة الإسلامية - كحضارة عظيمة تحمل قيماً كريمة - وتسعى لإسعاد البشر وتحقيق مجتمع العدل والحرية والانحياز إلى المستضعفين منذ أن ظهرت تلك الحضارة وهي في حالة صراع دائم ومستمر ضد القوى الشيطانية المتربصة بها. وعلى رأس تلك القوى الشيطانية كانت الحضارة الأوروبية التي لم تترك جريمة إلا وارتكبتها في حق البشرية. بدءاً من قهر الإنسان وقمعه، وانتهاء بنهبه وسلب ثرواته.

الحضارة الأوروبية حضارة إغريقية وثنية ذات قشرة مسيحية، وقد أنتجت هذه الخلطة العجيبة بين الوثنية الإغريقية وبين القشرة المسيحية - أنتجت الروح الصليبية التي تتسم بها الحضارة الأوروبية في مواجهة الأمة الإسلامية.

الحضارة الإسلامية بما تتسم به من عدل وتسامح وحرية - هي التي أنتجت أمثال عمر بن عبد العزيز الذي أمر بهدم جزء من المسجد وردده إلى الكنيسة.

وحتى في لحظات ضعف الحضارة الإسلامية - نجد أن رجلاً مثل الأمير عبد القادر الجزائري، وهو الذي عانى شخصياً، وعانت معه بلاده الجزائر من المذابح والمجازر والنهب والقمع الاستعماري الصليبي الفرنسي - نجده هو نفسه يحمي نصارى لبنان أثناء نفيه في دمشق سنة ١٨٦٠ فيما عرف بطوشة النصارى.

وهي الحضارة التي أنتجت أمثال الشيخ الباجوري شيخ الأزهر في عهد عباس باشا الأول - ذلك الشيخ الذي رفض الإفتاء بنفي بعض النصارى إلى السودان عندما طلب عباس الأول ذلك، وقد قال الشيخ الشجاع:

(إنه لم يطرأ على ذمة الإسلام طارئ، ولم يستول عليها خلل، وهم في ذمته إلى اليوم الآخر).

أما الحضارة الأوروبية الصليبية فهي حضارة مجرمة. أليست هي التي أبادت الهنود الحمر في أمريكا؟ أليست هي التي مارست عمليات الخطف والاستعباد والاسترقاق لأهالي أفريقيا؟ وقتلت منهم ٤٥ مليوناً يوم أن كان سكان إنجلترا مثلاً ثلاثة ملايين؟

أليست هي الحضارة التي ذبحت خمسة ملايين جزائري في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ - ١٩٦٢؟

أليست هي الحضارة التي زرعت الكيان الصهيوني في فلسطين؟.

الحضارة الأوروبية حضارة مجرمة بكل إفرازاتها السياسية والفكرية. الرأسمالية والاشتراكية. الملكية والجمهورية. الليبرالية والاشتراكية الديمقراطية.

فعلى سبيل المثال عانى شعب الجزائر معاناة شديدة على يد الملكيين والجمهوريين على السواء، على يد المحافظين والليبراليين الفرنسيين على السواء.

بل كانت معاناته تصل إلى ذروتها في فترات الحكم الاشتراكي في فرنسا.

ففي سنة ١٩٤٠ مثلاً نفذت السلطات الفرنسية مذبحة كبيرة في أهالي الجزائر، وقتلت منهم في يوم واحد أكثر من ٤٥ ألفاً - بل وقام الطيران الفرنسي بحرق قرى جزائرية كاملة. وكان يحكم فرنسا في ذلك الوقت الاشتراكيون الديمقراطيون، بل إن وزير الطيران الذي أمر بدمار القرى الجزائرية وإحراقها كان وزيراً شيوعياً.

وهكذا فإن الحضارة الغربية الأوروبية الصليبية لم تفرز إلا كل ما هو حقير ومجرم ألسم تفرز الشيوعية والفاشية والنازية؟ بل إن كل هذه الإفرازات السياسية والمدارس الفكرية المختلفة تناسى خلافاتها الأيدلوجية والسياسية والفكرية وتظهر على حقيقتها - تظهر روحها الصليبية عندما يكون الأمر خاصاً بالعالم الإسلامي أو أحد شعوبه.

وإذا كانت الرأسمالية والشيوعية قد أصيبتا بالإفلاس وأصبحت سمعتها سيئة للغاية - فإن المثقفين المغتربين في بلادنا يحاولون الآن تحسين سمعة الحضارة الغربية وترويج بضاعتها لدينا عن طريق التبشير بإحدى إفرازاتها وهي الاشتراكية الديمقراطية. ووصل الأمر إلى عقد أحد مؤتمرات هذه الاشتراكية الديمقراطية في مصر ١٩٩٠ - ويتناسى هؤلاء أن الأفعى لا تلدغ ثعباناً. بل إن حقائق التاريخ القريب تؤكد أن بلادنا عانت أكثر المعاناة على يد هذه الاشتراكية الديمقراطية بالتحديد.

ألم تقم حكومة فرنسا الاشتراكية الديمقراطية بأبشع المذابح في الجزائر؟، بل ومارس هؤلاء المنتمون إلى الاشتراكية الديمقراطية الفرنسية أبشع أشكال التعذيب والاستنطاق في السجون الجزائرية - بل وابتكروا أساليب شديدة الهمجية سجلت براءة اختراعها باسمهم مثل الإقعاد على قارورة زجاجية مكسورة، وغيرها من وسائل التعذيب الوحشية.

ألم تلق إسرائيل الدعم دائماً وأبداً من الاشتراكية الديمقراطية الدولية، بل إن حكومة إسرائيل في معظم الفترات تنتمي إلى حزب العمل الإسرائيلي، وهو العضو النشط في الاشتراكية الديمقراطية. ألم تتعرض مصر سنة ١٩٥٦ إلى عدوان ثلاثي شاركت فيه ثلاث حكومات اشتراكية هي حكومة العمال البريطانية، وحكومة الحزب الاشتراكي الفرنسي، وحكومة حزب العمل الإسرائيلي.

يخطئ من يظن أن الحروب الصليبية هي تلك الحروب التي شهدتها الشرق العربي منذ ١٠٩٨ م وحتى ١٢٩٥ م، بل الحقيقة أن الصراع مع أوروبا الصليبية امتد في الزمان والمكان قبل ذلك وبعد ذلك.

ففي بلاد المغرب العربي امتد الصراع قبل ذلك واستمر أكثر من ألف عام، ولا يزال مستمراً، بل إن الجزائريين يطلقون عليها حرب الألف عام. وهي حرب استمرت بين أوروبا الصليبية - البرتغال - أسبانيا - إنجلترا - فرنسا - ألمانيا وبين بلاد المغرب العربي وخاصة الجزائر بين كر وفر إلى أن انتهت باحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠.

وفي الشرق كانت تركيا تخوض حروب الإسلام ضد أوروبا الصليبية وفي قلب أوروبا ذاتها، واستطاعت أن تخضع معظم القارة الأوروبية للنفوذ الإسلامي التركي - إلى أن عادت أوروبا فاستطاعت أن تحيك المؤامرات ضد الخلافة العثمانية ونجحت في إسقاطها سنة ١٩٢٤ .

وقد استخدمت أوروبا الصليبية في صراعها مع الحضارة الإسلامية في المرحلة الأخيرة عدداً من التكتيكات والأساليب الشيطانية في سبيل السيطرة على الأمة الإسلامية وتدمير الحضارة الإسلامية، منها التطويق البحري عن طريق الكشوف الجغرافية، ومنها إرساليات التبشير المسيحية الأوروبية.

ومنها زرع مدارس الفكر الأوروبي والغربي في بلادنا عن طريق مؤسسات وأحزاب وصحف ومراكز إعلامية، ومنها الاحتلال العسكري وهي ذات الخطة التي رسمها لويس التاسع أثناء سجنه في المنصورة إبان الحملات الصليبية.

وفي الحقيقة فإن الهدف الأوروبي الصليبي في القضاء على الحضارة الإسلامية يتضمن أيضاً القضاء على كنائس الشرق باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية، وخاصة القضاء على الكنيسة القبطية المصرية باعتبارها جزءاً أصيلاً من التراث الحضاري والثقافي الإسلامي، وباعتبارها كنيسة متميزة ومستقلة عن الكنائس الأوروبية.

إذن فالحديث هنا - عندما نقول أن هناك تعصباً أوروبياً صليبياً ضد الحضارة الإسلامية وضد الثقافة الإسلامية وضد الأمة الإسلامية، فإننا لا نتجاوز الحقيقة بل الواقع أن ذلك أمر بديهي يؤكد اتفاق كافة الاتجاهات السياسية الأوروبية من ملكية وجمهورية، رأسمالية واشتراكية، محافظة وليبرالية - فاشية ونازية وديموقراطية. اتفاقها على التعصب الصليبي والحق على الإسلام وحضارته وثقافته.

إذن عندما يتحدث الزعماء والمفكرون الوطنيون في مصر أو غيرها عن التعصب الأوروبي الصليبي، فإن هؤلاء لا يعكسون تعصباً إسلامياً - بل هم يقررون واقعاً

مرثياً لكن ذي عينين، بل هؤلاء الذين يتجاهلون الحقائق هم الذين يخفون تعصبهم - ولكن هؤلاء الذين يصفون الواقع كما هو ليسوا متعصبين - إذ لو كانوا متعصبين لحاولوا إخفاء تعصبهم.

نعم - عندما يتحدث الأفغاني أو النديم أو عرابي - أو مصطفى كامل أو محمد فريد أو حسن البنا أو أي زعيم وطني عن التعصب الأوروبي الصليبي وعندما يدعون إلى التمسك بالثقافة والحضارة الإسلامية، وعندما يحشدون الجماهير لمواجهة الغزوة الأوروبية على بلادنا - فإنهم في الحقيقة يدافعون عن الكنيسة القبطية أيضاً - وعن التراث القبطي أيضاً، لأن الكنيسة القبطية تنتمي إلى الحضارة الإسلامية - ولأن التراث القبطي جزء لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية.

وإذا كانت إرساليات التبشير تستهدف تنصير المسلمين. أو زرع أنماط التفكير الغربي في بلادنا - أو العمل كطابور خامس لصالح الاستعمار، وإذا كانت إرساليات التبشير قد ارتبطت بالاستعمار أيما ارتباط. فهي إما تكون طلائع له، أو تأتي في ركابه لتدعيم موقفه ونشر أهدافه والعمل على تهيئة الأجواء لصالح المشروع الاستعماري، فإنها أيضاً استهدفت تذيب الكنيسة القبطية في مصر وتبشير أبنائها ومحاولة تحويلهم إلى الكنائس الأوروبية البروتستانتية والكاثوليكية، ومحاولة اختراق المجتمع عن طريق التلويح بالمشروع الحضاري الغربي للأقباط.

إلا أن تلك المحاولات وجدت من يتصدى لها من الأقباط وخاصة البابا كيرلس الخامس الذي أنشأ مطبعة خصيصاً للرد على شبهات ومحاولات إرساليات التبشير بين الأقباط، بل ودعا إلى مقاطعة المدارس التابعة لإرساليات التبشير، واعتبر كل من يدعم تلك المدارس خارجاً على الكنيسة القبطية.